https://doi.org/10.26682/hjuod.2020.23.1.17

مجلة جامعة دهوك، المجلد: 23، العدد: 1 (العلوم الانسانية والاجتماعية)، ص 249-266، 2020

الرحلة دلالاتها وأبعادها في التجربة الصوفية (الرؤية، الرمز، المرجعية)

– قراءة تأسيسية –

هشيار زكي حسن و يونس إبراهيم أحمد

[*] قسم اللغة العربية، فاكلتي التربية، جامعة كويه، إقليم كوردستان– العراق .

[**] قسم اللغة العربية، كلية التربية/عقرة، جامعة دهوك، إقليم كوردستان– العراق .

(تاريخ استلام البحث: 10 آذار، 2020 ، تاريخ القبول بالنشر: 10 حزيران، 2020)

الخلاصة

تبوأت الرحلة مكانة مميّزة في الدراسات النقدية الحديثة, وذلك لحضورها المكثّف في النصّ الأدبي شعراً ونثراً, إذ يتجلّى حضورها في القصيدة العربية الكلاسيكية في المقدمة, التي تعد ركيزة أساسية في هيكلية القصيدة وبنائها الفني عند النقاد, وهي حاضرة –أيضاً– في النثر وفنونه, ضمن جنس أدبي خاص يعرف بـ(أدب الرحلات) .

أمّا الرحلة عند الصوفية, فقد أخذت طابعاً رمزياً ومعنى عرفانياً يتصل بالمعرفة الحدسية (الذوقية) والكشف والتجلّي, وقطع عقبات النفس, والترقي في الأحوال والمقامات الصوفية, للوصول إلى حقيقة العلم بالله (تعالى) والاتصال بالأنوار والأسرار , وهو ما يعبّر عنه الصوفية بـ(الحضرة الإلهية), وهي غاية السالكين ومنتهى سير السائرين إلى الله (سبحانه), وهكذا تغدو الرحلة مرادفة لمفهوم التصوف.

والرحلة عند أهل الحقيقة على نوعين : الأولى, رحلة حسية جسدية (حقيقية), ويقصد بها –في غالبيتها– البُعد التربوي التطهيري في ترسيخ القيم السلوكية والدينية ومن أنماطها : الرحلة الحجازية (رحلة الحج), والسياحة الصوفية, ورحلة طلب العلم, والرحلة الزيارية, ورحلة البحث عن شيخ الطريقة (القطب). وأمّا الثانية, فهي رحلة روحية قلبية (رمزية), منفصلة كُلياً عن حيثيات الواقع الحسي للصوفي وسلوكياته وفيها يتفرّغ الصوفي السالك لرحلة روحية وسفر معنوي من خلال ترقّيه في المقامات العرفانية, والكشف عن الحقائق والاتصال بالأسرار والأنوار ، وهي رحلة رمزية تتحدّد مجالاتها وآفاقها داخل نفس الصوفي السالك وعوالمه , ومن أنماطها : سفر القلب, والمعراج الصوفي.

وإذا كانت الرحلة في الأدب العربي –شعراً ونثراً– قد حظيت بأهمية لدى الأدباء والنقاد حتى اشبعت بحثاً ودراسة, فإنّ الرحلة الصوفية لا تزال من الموضوعات التي تحتاج إلى المزيد من الدراسات الجادة لسبر أغوارها وكشف أسرارها وتحديد مفاهيمها ومصطلحاتها, ومن هنا , جاءت هذه الدراسة لإضاءة بعض جوانب موضوع الرحلة في التجربة الصوفية, من خلال قراءة تأسس لمفاهيم الرحلة ودلالاتها وأنماطها ومرجعياتها وأبعادها الرمزية والعرفانية.

الكلمات الدالة: الرحلة , الدلالة , الأبعاد , الرؤية , الرمز , المرجعية , التجربة الصوفية .

المحور الأول: الرحلة...بين الدلالة اللغوية والرؤية الصوفية

لكل بحث أو دراسة مصطلحات ومفاهيم يتم التركيز عليها، لذا تتطلّب الضرورة العلمية بيان مفاهيم هذه المصطلحات وشرحها، ومحاولة تحديد إطارها العام، قصد ازالة أيّ لبسٍ قد ينشأ جرّاء استخدامها وتكوين فكرة جليّة ورؤية واضحة عن الموضوع.

والرحلة ((مصطلح عام فضفاض، ارتبط بالكثير من المعاني والدلالات التي ولّدت لنا مجالات من البحث مختلفة، فكان نتيجة هذه ورود مفاهيم ومصطلحات عدّة، في مجملها تضع الرحلة مركزاً لها، لكنَّ الاهتمام بها يختلف باختلاف الزاوية التي ينظر إليها، فنجد مثلاً الرحلة والجغرافيا، والرحلة والاستكشاف، والرحلة والتاريخ، والرحلة والأدب ... إلى غير ذلك من مجالات البحث التي تتخذ من الرحلة مادة دسمة لها)) [(1)].

alizzy1981@gmail.com

كما أنّ مصطلح الرحلة رافقته مصطلحات أخرى، شاركته في الدلالة والوضع، ونظراً لما لها من أهمية في الدراسة، فقد ارتأينا إيراد بعض منها لما يخدم إشكالية بحثنا، وهي على التوالي: الرحلة والسفر لترادفهما في كثير من المعاني، ولتوضيح الرؤية أكثر كان علينا الإلمام بمفهوم هذه المصطلحات من جوانب عدّة، وفي مقدمتها: ما هي المعاني والمقاصد والدلالات التي وردت بها في معاجم اللغة؟ ثم نُركز على دلالاتها الاصطلاحية (العرفانية) في المفهوم الصوفي، ومحاولة الإجابة عن التساؤل: هل ثمة ترادف وتواشج بين دلالاتها اللغوية والصوفية؟ وهل ثمة فرق بين مصطلحي الرحلة والسفر من حيث الدلالة الأدبية؟

(1-1-1) المفهوم اللغوي لمصطلحات الرحلة :

(1-1-2) الرحلة لغة :

تدل كلمة (الرحلة) في معظم كتب اللغة العربية ومعاجمها على التنقل والترحال والتحوّل الواسع عبر محطات الانتقال المتعدّدة من مكان إلى آخر، وتنطلق الرحلة عادةً نحو مسارات واتجاهات مختلفة وآفاق متباعدة، يقول ابن منظور: ((الرَّحْلُ: مركب للبعير والناقة، وجمعه أرحلٌ ورحال ... والرِّحالة: سرجٌ من جلود ليس فيه خشب كانوا يتخذونه للركض الشديد والجمع الرحائل ... وفي حديث ابن مسعود: إنّما هو رَحلٌ أو سرج, فرحل إلى بيت الله, وسرج في سبيل الله, يريد أنّ الإبل تركبُ في الحج والخيل في الجهاد ... يقال رحلَ الرجلُ إذا سار ... ورجل رحول وقومٌ رُحّل: أي يرتحلون كثيراً، ورجل رحّال: عالمٌ بذلك مُجيدٌ له ... الراحلة من الإبل: البعير القوي على الأسفار والأحمال ... وناقة رحلية: أي شديدة قوية على السير ... الرِّحلة، الارتحال، والرُّحلة –بالضم– الوجه الذي تأخذ فيه وتريده ... وأرحلت الإبل: سَمِنت بعد هُزال فاطاقت الرحلة ... والمرحلة المنزلة يُرتحلُ منها، وما بين المنزلتين مرحلة))[2].

وإذا اتفقنا على أنّ المساحة التي تحتلها مادة ما في معجم لغوي دليل على أهميتها، فإنّ ((مادة (رَحَلَ) نالت اهتماماً خاصاً من صاحب اللسان بوصفها مادة متداولة على نطاق واسع، ونابعة من واقع البيئة العربية))[3]، فهي – مادة (رحل) – متّسعة الوحدات، متعدّدة الاشتقاقات، ممّا نستدل من خلاله على تعاظم نشاط السفر عند العرب، ذلك لأنَّ ((الوحدات اللغوية والمعجمية في حقل مُعين غالباً ما تصحبُها زيادة في السيرورة والتداول، فالأُمم تشتق من الوحدات اللغوية –عادةً– على قدر ما تستهلك وتحتاج))[4].

وتكاد المعاجم تكرّر المعاني نفسها[5]، فجميع مشتقات مادة (رحل)، وفي جميع المعاجم، توحي بالسفر، كونها تدور حول متطلباته الأساسية، التي يمثلها: فعل الحركة والانتقال من جهة، والوسيلة أو المركب من جهة ثانية، والقوة والجهد وتحمل المشاق من جهة ثالثة، وهذه جميعها من متطلبات الرحلة كسفر[6]، والذي نلاحظه من خلال تتبّع مشتقات مادة (رحل) في مختلف المعاجم العربية، أنّ:

1- مشتقات المادة جميعها تسبح في فلك الانتقال والظعن والمسير والضرب في الأرض والانتشار، وتدور كلّها حول محور واحد هو الحركة، والرحلة في جوهرها حركة وانتقال[7].

2- إنّ التقليبات المختلفة للمادة، مثل (حَرَلَ، لَرَحَ، لَحَرَ... الخ) غير مستعملة في العربية، ولعل ذلك يعود إلى استئثار تلك المادة بهذا الترتيب (رَحَلَ) بالنصيب الأوفر من حيث الاستعمال، ممّا أدى إلى الجور على التقليبات الأخرى[8].

3- إنَّ شيوع هذه المادة ومشتقاتها في اللغة كان له حضوره الواسع في البيئة العربية، بإنسانها وحيوانها وطبيعة الحياة فيها، فصيغة المبالغة من (رَحَلَ) وهي (رَحّال) كانت اسماً أو لقباً لبعض الجاهليين، مثل (عروة الرّحال) الذي كان سبباً في (حرب الفجار)[9]، وقد أورد ياقوت الحموي في معجمه هذا الاسم (رحّال بن عنقرة)[10]، كما ارتبطت بعض اشتقاقات المادة مثل (الراحلة، الرحول، الرحيل) بأعز ما يملكون، ونعني بذلك الخيل والإبل التي كانت تلعب الدور الأكبر في حياتهم، فهي سندهم في حلّهم وترحالهم، وهذا يعني ((أنّ الرحلة حاضرة معهم، راسخة في أذهانهم، لا تفارقهم على مدار اليوم والليلة وتتجلّى عندهم من خلال الخطاب شعراً، ومن خلال الفعل تنقلاً، ومن خلال الناقة والجواد وسيلة، وهذا ما يؤكده المعنى اللغوي لكلمة (الرحلة) وفي لغة العرب))[11].

(1-1-3) السفر لغة :

إنّ المتتبع للفظة (سَفَرَ) في المعاجم اللغوية العربية، يجد أنّها مرادفة في كثير من معانيها لكلمة (رَحَلَ)، من خلال دلالتها عن: قطع الأسفار، والمسافر، والقوة على السفر واتخاذ أسبابه ووسائله من المركب والطعام، وبهذا المعنى وردت عند (صاحب اللسان) قال ابن منظور :((سَفَرَ البيت وغيره يسفره: كنسهُ، والمِسفرة: المكنسة، وأصله الكشف، ويقال: انسفر مُقدّم رأسهِ من الشعر: إذا صار أجلح، والإنسفار الانحسار ... وانسفرت الإبل، إذا ذهبت في الأرض ... ورجلٌ سافِر ذو سفر ... وقومٌ سافرةٌ وسُفر وأسفار وسُفّار ... والمسافر كالسافر ... والمسفر: الكثير الأسفار القوي عليها ... والأنثى: مُسفِرة ... وبعيرٌ مُسفِر: قوي على السفر ... وناقةٌ مُسفِرة ومِسفار كذلك ... ويقال: سافرَ الرجلُ إذا مات ... والسُّفرة – بالضم– طعامٌ يتخذُ للمُسافر))[12].

وقال الجوهري :((السَّفَرُ: قطعُ المسافة، والجمع الأسفار ... وسفرت المرأة: كشفت عن وجهها، فهي سافر. ومَسَافرُ الوجه: ما يظهرُ منه ... وأسفر الصبحُ: أي أضاء ... وأسفر وجهه حُسناً: أي أشرق))[13].

وهكذا تتواشج معاني لفظتي (الرحلة والسفر) لغوياً، وتترادف دلالاتهما في كثير من المحاور التي تدّل على الحركة والانتقال، وقطع المسافات، والقوة على المسير واتخاذ أسبابه ووسائله، وهذا ما يُفسر ترادف استعمال اللفظتين، على سبيل الإفراد (رحلة/سفرة) قال ابن منظور :((الرُّحلة: السفرة الواحدة))[14].

وإذا ما أردنا مقارنة اللفظة بمقابلها الانكليزي، فنلاحظ أنَّ (رحلة/سفر) تحملان المعنى نفسه (voyage)، والاسم منهما هو (voyajger) أي (مُسافر/ رَحّالة)، والجمع (voyages) رحلات، ويطلق أيضاً على الرحلات المتتابعة[15].

هذا فضلاً عن مدلول آخر مرتبط بالموت، فقولنا: رحل فلان: أي مات، وكذلك سافر فلان، قال ابن منظور :((ويقال: سافر الرجلُ إذا مات))[16]، ومن خلال هذا المفهوم تظهر لنا ((فكرة الانتقال –كذلك– من عالم مادي محسوس إلى عالمٍ غيبي مُجرّد))[17]، وهكذا يكون الموت و (الرحلة/ السفر) صِنوان، فكلاهما غيابٌ وانتقال[18].

(1-2-1) المفهوم الاصطلاحي (العِرفاني-الصوفي) للرحلة والسفر :

يأخذ السفر (الرحلة) في المفهوم الصوفي معاني عرفانية عدّة، لها علاقة بالمعرفة القلبية، مثل السفر بالقلب إلى الله (سبحانه) والعروج إليه، والتجلّي[19]، ولا بُدَّ، بداية، من الإشارة إلى أنّ الرحلة في الفكر الصوفي تمثّل رؤية كونية تُفسّر الوجود وأبعاده، وتكشف عن المبدأ والمنتهى وفق تصوّر عرفاني خاص[20]، ولذا يؤكد الصوفية على أنّ حياة الإنسان ما هي إلّا سفر من البداية إلى النهاية، يقول الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي: ((وعلى الحقيقة فلا نزال في سفرٍ من وقت نشأتنا ونشأة أصولنا إلى ما لا نهاية))[21].

إنّ السفر (الرحلة) حسب الرؤية الصوفية ضرورة حتمية، وسُنة كونية فالسفر هو الحياة، والحياة سفر، وحين كان العالم –حسب فلسفة ابن عربي– إنسان أكبر، حي عابد، سائح، ترتّب أنّ السفر حقيقة تتعلّق بالكُل، والكُل يتعلّق بها، أمّا على المستوى الإنساني، فإنّ هذا الكائن يختصر كُلَّ أنواع السفر لاختصاره الحضرة الإلهية، ولاختصاره العالم، فخروجه إلى الوجود سفر، نموه الجسدي سفر، جريان دمه في العروق سفر، حركة أنفاسه سفر، كلامه دائم السفر، وأفكاره دائمة السفر بين المحمود والمذموم، ثم إنّ موت الإنسان سفر أيضاً من العالم المحدود إلى العالم المطلق[22] , وهكذا فحياة الإنسان كلّها رحيل وأسفار وانتقال، وهو ما عبّر عنه الشاعر الصوفي أبو سالم العياشي قائلاً:

فاقضوا مآربكُم عِجالاً إنمّا أعمارُكم سَفَرٌ من الأسفارِ[23]

وتختلف غايات السفر من إنسان إلى آخر، لكنّ السفر الذي يريده الصوفية –هنا– هو الذي تكون غايته الله (سبحانه وتعالى) وحده قال الشريف الجُرجاني: ((والسفر عند أهل الحقيقة: عبارة عن سير القلب عند أخذه في التوجّه إلى الحق بالذكر)) [24]، إنّ سفر القلوب يعني ترحّلها من الغفلة إلى التوبة، حيث يترقّى الوجدان، وترتقي الروح في مدارج

الكمال، ليكون الإنسان أقرب إلى مولاه (سبحانه)، فهو سفر قلبي إلى معارج الروح وحقيقتها، يُكشف عن جوهر الإنسان، ويرتقي به في عالم العرفان[25]، ولذلك سمي التصوف سلوكاً وطريقاً وسمّي المتصوف سالكاً، وفي هذا المعنى يقول ابن عربي: ((اعلم أيّدك الله أنّ السفر حال المسافر، والطريق هو ما يمشي فيه ويقطعه، بالمعاملات والمقامات والأحوال والمعارف))[26].

ومن هنا يفرّق الصوفية بين نوعين من الرحلة، يقول الإمام الغزالي: ((والسفر سفران: سفر بظاهر البدن عن المستقر والوطن إلى الصحارى والفلوات، وسفرٌ بسير القلب عن أسفل السافلين إلى ملكوت السماوات، وأشرف السفرين السفر الباطن))[27]، وبلفظ لا يختلف معناه عن القول السابق يُصرح القشيري قائلاً: ((واعلم أنّ السفر على قسمين: سفر بالبدن، وهو الانتقال من بُقعة إلى بقعة، وسفر بالقلب، وهو الارتقاء من صفة إلى صفة، فترى الكثير يسافرون بأجسامهم، والقلائل يسافرون بقلوبهم))[28]، وإلى ذات المعنى يشير أبو المواهب التونسي قائلاً: ((الرحلة رحلتان: رحلة الأرواح ورحلة الأشباح، فرحلة الأرواح من الكثافة إلى اللطافة، ورحلة الأشباح من مسافة إلى مسافة))[29].

ومما سبق يتبيّن لنا أنّ الرحلة الصوفية هي سفر عرفاني رمزي، وهي في حقيقتها ترقّ بين المقامات, من الإسلام إلى الإيمان إلى الإحسان [30]، وهي مراتب التصوف الثلاث ومنازله، قال الشيخ ابن عجيبة الحسني: ((والأعمال عند أهل الفن على ثلاثة أقسام، عمل الشريعة، وعمل الطريقة، وعمل الحقيقة ... فالشريعة أن تعبده، والطريقة أن تقصده، والحقيقة أن تشهده))[31].

واذا كان هذا هو التصوف، وهذه مراتبه، فإنّ الرحلة عند الصوفية هي اجتياز هذه المقامات والمنازل للوصول إلى الحق (سبحانه وتعالى)، وإلى هذا المعنى أشار المفكّر (صادق الطريحي) قائلاً: ((تعني الرحلة عند المتصوف الوصول إلى مرحلة الإنسان الكامل، المتجرّد عن الدنيا، وقد وصل إلى مرحلة الحقيقة آمناً مطمئناً بعد أن اجتاز مرحلة الشريعة))[32].

ولا يتحقق السير الصوفي والسفر الروحي إلّا بمحاربة النفوس، ومخالفتها في عوائدها، وقبيح مألوفاتها وشهواتها، فالنفوس ميدان السير والسلوك[33]، وإلى هذه الحقيقة أشار ابن عطاء الله السكندري بقوله: ((لو لا ميادين النفوس، ما تحقّق سير السائرين، إذ لا مسافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتك، ولا قطيعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك))[34].

وهكذا يكون مفهوم الرحلة مرادفاً لمفهوم التصوف، فالرحلة انتقال وترقٍ في معارج الروح، والتصوف طريق وسلوك، والطريق هي ((طريق المسير إلى الله تعالى، وهذه الطريق فيها عوائق وعوارض وعقبات))[35]، وأمّا السلوك، فهو ((انتقال من منزل عبادة إلى منزل عبادة بالمعنى، وانتقال بالصورة من عمل مشروع عن طريق القربة إلى الله (تعالى) إلى عمل مشروع بطريق القربة الى الله (سبحانه) بفعل وترك، فمِن فعل إلى فعل، ومن ترك إلى ترك ..... وانتقال بالعِلم من مقام إلى مقام, ومن تجلٍّ إلى تجلّ، ومن نَفَس إلى نَفَس، والمنتقِل هو السالك، وهو صاحب مجاهدات بدنية، ورياضات نفسية))[36], وإلى هذا المعنى أشار العلّامة التهانوي حيث قال: ((السفر: هو توجه القلب إلى الحق (سبحانه)، والسير مرادف له))[37].

إذن, فالرحلة الصوفية، أو السير إلى الله تعالى يُراد به ((قطع عقبات النفس، ومحو آثارها ودواعيها، وغلبة أحكام طبيعتها وجبلتها حتى تطهُر من ذلك، وتحصل لها أهلية القرب من الله تعالى، وتصل إلى سعادة لقائه))[38]، وممّا سبق يمكن أن نحدّد دلالتين عرفانيتين للرحلة الصوفية، هما: سفر القلب في السلوك والطريق، وقطع المنازل والترقّي في المقامات والأحوال، يقول عماد الدين مُحَمَّد بن الحسن القرشي مؤكداً هذا المعنى: ((السفر: والمراد سفر القلب في طريق الحقائق، ويطلق السفر أيضاً، على الترقّي في المقامات، وقطع المنازل طلباً للوصول إلى الله تعالى))[39].

وهذا هو السفر الباطن، أو ما اصطلح عليه الصوفية بـ (المعراج الصوفي)، وهو أفضل السفر عند أهل الحقيقة، لأنّه متعلّق بسفر القلوب ورحلة الأرواح وإن كان صاحبه حاضر

البدن، ساكن الوطن، وإليه أشار الأديب الصوفي أبو سالم العياشي حين قال:

كُنْ قَاطِناً ظَاهِراً، والسِّرُّ مُرتَحِلٌ فَالسَّيرُ مِنْ غَيرِ رِجلٍ أحسنُ السَّفرِ[40]

ومن هنا، فالمعراج الصوفي هو رحلة روحية نحو السمو والكمال، وتجربة نحو الاتصال بالمطلق، إنّه كما وصفه ابن عربي رحلة ((من العالم الكوني إلى الموقف الأزلي، وهو معراج أرواح لا معراج أشباح، وإسراء أسرار لا أسوار، ورؤية جَنَانِ لا عيان، وسلوك معرفة ذوق وتحقيق، لا سلوك مسافة وطريق))[41].

وهكذا تتجلّى الرحلة الصوفية في هذا المعراج الروحي, إنّه سفر ترقٍ وتدلٍ، سفر عمودي لا أفقي، سماوي لا أرضي، روحي لا جسدي، وراء جميع الحدود الجغرافية، في اتجاه الحضرة الإلهية، عند ((قاب قوسين أو أدنى))[42]، ليصل التقليد النبوي أوجه بالنسبة للأولياء في هذه الرحلة الليلية، حيث يحقّق كُلُّ واحد منهم –روحياً– التجربة القصوى التي حققها النبي مُحَمَّد (ﷺ) جسدياً في المعراج، من سماء إلى سماء نحو الحضرة الإلهية[43]، ذلك لأنّ التصوف –حسب هنري كوبان– هو ((إثمار لرسالة النبي (ﷺ) الروحانية، وجهد مستمر لعيش أنماط الوحي القرآني عيشاً شخصياً عن طريق الاستبطان، فالمعراج النبوي الذي تعرّف به الرسول (صلى الله عليه وسلم) على الأسرار (الغيوب) الإلهية، يظل النموذج الأول الذي حاول بلوغه جميع المتصوفين واحداً بعد الآخر))[44].

وفي هذا المعنى، لا يكون معراج الصوفي إلا استكشافاً للوجود الذاتي، ذلك أنّ الانسان –حسب ابن عربي– عالم صغير، يحمل في ذاته –نظرياً على الأقل– جميع الإمكانات المنبسطة في الكون، فهو نسخة مطابقة للعالم الأكبر، وكل ما يوجد في هذا الأخير له ما يماثله في الأوّل، وينتج عن ذلك أنّ ما يشاهده الصوفي السالك في إسرائه يجري داخل نفسه[45], وبعد انتهاء هذه الرحلة، يبلغ الصوفي الغاية من مسعاه, ويقسّم ابن عربي الراجعين من المعراج الصوفي على نوعين: ((منهم من يرد في حق نفسه –وهو النازل الذي ذكرناه– وهذا هو العارف عندنا، فهو راجع لتكميل نفسه من غير الطريق الذي سلك عليه ... ومنه من يرد إلى الخلق بلسان الإرشاد والهداية، وهو العالِم الوارث))[46].

وإلى هذا المعنى أشار وهو يصف ختام رحلته الروحية ومعراجه الصوفي، بعد أنّ خصّه الله تعالى بالمزايا اللدُنية، والحقائق الربانية, والمواهب العرفانية، ليرجع إلى الناس وارثاً مُحَمَّدياً, ومرشداً روحياً, يقول الشيخ الأكبر (محيي الدين بن عربي) : ((... فأعطاني في هذه الآية كل الآيات، وقرّب لي الأمر، وجعلها لي مفتاح كل عِلم، فعلِمتُ أنّي مجموع مَن ذكر لي وكانت لي بذلك بشرى بأنّي مُحمدي المقام، من ورثة جمعية مُحَمَّد (عليه الصلاه والسلام). فحصلتُ في هذا الإسراء الأسماء كلها، فرأيتُها ترجع إلى مسمى واحد، وعين واحدة، فكان ذلك المسمى مشهودي، وتلك العين وجودي، فما كانت رحلتي إلّا فيَّ، ودلالتي إلّا عليَّ))[47].

فمن تيسّر له هذا اللون من السفر ((لم يزل في سيره متنزهاً في جنّة عرضها السماوات والأرض، وهو ساكن البدن، مستقرُ في الوطن، وهو السفر الذي لا تضيق فيه المناهل والموارد، ولا يضرُّ فيه التزاحم والتوارد، بل تزيدُ بكثرة المسافرين غنائمه، وتتضاعف ثمراته وفوائده، فغنائمه دائمة غير ممنوعة، وثمراته متزايدة غير مقطوعة))[48].

وإنّما خُصّ هذا النوع من السفر (المعراج الصوفي) بهذه الميزات السَّنية، والفتوحات اللدُنية، لأنّه سفر تتحقق فيه لوازم ترقي الصوفي في رحلته العرفانية إلى الحق (سبحانه وتعالى)، ومعراجه إلى حضرته (جلّ جلاله)، وبه يخرج الصوفي السالك من طينة الجسد وظلمته إلى فضاء الروح ونورانيتها، ليصل بترقيه إلى عالم الأسرار والأنوار، ويدرك العلوم والمعارف الربانية، وينال فضل الكشف وشرف التجلّي, إذ لا حدود لفوائد هذا النوع من الرحلة، التي تكون نفس الصوفي العارف مسالكها وممالكها، ويكون القلب مسافراً في عوالمها، ومتنقلاً من حال إلى حال، ومن مقام إلى مقام، ومن تجلٍ الى تجلٍ، ومن كشف إلى كشف[49]، فهو ((سفرٌ أسفر عن مُحياه، وأظهر ما منحه مولاه، فإذا تحقق الإنسان بهذه الحقائق، واستحضر هذه

الطرائق، سافر من معدنه ... إلى روحه، إلى سِرّه إلى حقيقته وكُلّيته المطلقة))[50].

وهكذا تتجلى متطلبات الرحلة الصوفية وعقباتها التي على العارف بالله تجاوزها للوصول إلى الحضرة الإلهية(حضرة الحق)، والمراد بـ (حضرة الحق) الأنوار والحقائق الإلهية، قال ابن عجيبة الحسني: ((السفرُ إلى الله (تعالى) مجاز، عبارة عن قطع العلائق، وعن الخروج عن الشهوات والعوائد، ليتّصل بالأنوار والحقائق، وهي المعبّر عنها بحضرة الحق))[51].

إذن، فالرحلة الصوفية هي رحلة روحية رمزية، وهذه الألفاظ التي عبّروا عنها، مثل :(السير، والرحلة، والسفر، والميادين، والوصلة، والقطيعة، والسلوك، والطريق، والذهاب، والرجوع...) هي عبارات استعملها الصوفية في أمور معنوية تجوّزوا بها عن أمور حسية, ومرجع ذلك كُلّه إلى علوم ومعاملات يتّصف بها العبدُ لا غير، ولولا معاناة هذه العقبات والعوائق لم يتحقق السير والسلوك الصوفي، كيف والحقُ (سبحانه وتعالى) أقربُ الى العبد من نفسه؟ فالبُعد الحسي — وهو المسافة التي تطويها رحلته– والبُعد المعنوي –وهو القطيعة التي تمحوها وصلته– مُحالان في حق الله (تعالى) لنفي المثلية في الأوّل، وعدم العِندية في الثاني[52].

فالوصول إلى الله (تعالى) أو الاتصال به (سبحانه) هو وصول واتصال معنوي لا حسّي، يقول ابن عطاء الله السكندري في حِكمهِ: ((وصولك إلى الله (تعالى) وصولك إلى العلم به، وإلّا فجَلَّ ربُّنا أن يتصل به شيء، أو يتصل هو بشيء))[53]، ويشرح ابن عبّاد النِفرّي الرُندي هذه الحكمة قائلاً: ((الوصول إلى الله (تعالى) الذي يُشير إليه أهل هذه الطريقة هو الوصول إلى العلم الحقيقي بالله (تعالى)، وهذا هو غاية السالكين، ومنتهى سير السائرين، وأمّا الوصول المفهوم بين الذوات فهو متعالٍ عنه (سبحانه وتعالى)))[54]، ويؤيد ذلك ويؤكده قول شيخ الطائفة الجنيد البغدادي: ((متى يتّصل مَن لا شبيه له ولا نظير له بِمَن له شبيه ونظير ؟! هيهات))[55].

وعَودٌ على ذي بدء، يمكننا القول: إنّ كُلّ هذه المعاني الباطنية والدلالات العرفانية العميقة لمفهوم السفر عند الصوفية، لا تنأى عن المدلول اللغوي للكلمة في كثير من جوانبه، بل هي امتداد وتعميق له كالملاحظ على عناوين كُتبهم، من مثل (الإسفار عن نتائج الأسفار) و (الإسرا إلى المقام الأسرى) لابن عربي، و (الإسفار الغريب نتيجة السفر القريب) لبعد الكريم الجيلي، على سبيل الذكر لا الحصر، ثم إنّ كل ما هو من معاني واشتقاقات لكلمة (سفر) له تعلّق وارتباط بوجه ما بالتصوف وبأهم معانيه واصطلاحاته، إلى درجة تدفعنا إلى القول: بأنّ السفر مُرادف بشكل ما للكشف، فكما أنّ الكشف منهج وغاية العارفين، فكذلك السفر منهج وغاية[56].

والمتصفح لمادة (سفر) ومشتقاتها في المعاجم العربية، يُدرك بعض أسرار تعلق التصوف بهذه المادة عند الصوفية، ومن تلك المعاني قطع المسافة، والكشف، والإظهار، والاضاءة والإشراق[57]، وكلّها معانٍ ينشدها الصوفي السالك في سيره إلى مولاه (جلّ جلاله)، قال الإمام الغزالي ((إنمّا السفر هو الذي يُسفر عن أخلاق الرجال... وإنمّا سُمي السفر سفراً لأنه يُسفِرُ عن الأخلاق))[58].

ومن هنا نخلص إلى القول: بأنّ الرحلة الصوفية لم تكن للنزهة أو المتعة, وإنّما هي رياضة روحية ومجاهدة نفسية لتحقيق هدفٍ روحي وغاية دينية وهي الوصول إلى مرضاة الله (تعالى)، ذلك أنّهم لا ينقلون قدماً إلّا فيما يرضي الله (سبحانه)، ولا تنزل هِممهُم العالية إلّا على الله (تعالى)، غائبون عمّا سواه، لا يتوجهون بهممهم إلّا نحو الحبيب، ولا يُسافرون بقلوبهم إلّا إلى حضرة القريب المجيب [59].

ورغم ذلك، فإنّ الصوفي السالك قد يجمع بين السفرين (سفر الجسد) و (سفر الروح), فيحقق بذلك الكمال في رحلته إلى مولاه (جلّ جلاله)، ويستمر الصوفي في السير إلى الله (تعالى), والانتقال بين المقامات العرفانية, والتنزلات الإلهية حتى ((يصير سفره وحضره على السوية))[60]، وذلك عندما يتحوّل السفر إلى معارج للترقي، ومنافذ لتوسيع الرؤى، وتعزيز القدرات الروحية اللامحدودة، فتصبح الرحلة منهجاً في الحياة متواصلاً ومستمراً على الدوام، لا ينتهي في محطة، ولا يتوقف عند بلوغ غاية مُعيّنة، ويظل الصوفي في ارتقاء مستمر، وتحوّل

دائم، من حال إلى حال، ومن مقام إلى مقام، في سعي أبدي نحو الكمال لا ينتهي[61].

(1-2-2) موازنة في الدلالة الأدبية بين مصطلحي الرحلة والسفر :

وقبل أن نغلق دائرة الحديث عن مفهوم الرحلة عند الصوفية، تجدرُ الإشارة إلى أنّ اشتراك مصطلحي (الرحلة) و (السفر) في كثير من وجوه الدلالة اللغوية والعرفانية، الذي قد يصل – أحياناً- حَدّ الترادف على نحو ما أشرنا إليه آنفاً، لا يعني بحالٍ تطابق المصطلحين في الدلالة الأدبية، إذ يجد الباحث فروقاً جوهرية أثناء الموازنة بينهما في التداول الأدبي والنقدي، ومن ذلك:

1- إنّ مفهوم مصطلح الرحلة اشمل من (السفر)، فالرحلة تقترن بتجربة إنسانية ينتج عنها – غالباً- تغيير في المفاهيم والرؤى عند صاحب الرحلة، يقول الشاعر والناقد الأمريكي (ت.س. إليوت) :((ارتحلوا..... انطلقوا أيّها الرحالة، فأنتم لستُم نفس الأشخاص عند بدء الرحلة))[62]، فالإنسان يكتسب الكثير من المعارف من خلال مشاهداته ومعايشته لأحداث الرحلة وتفاصيلها، وينتج عن ذلك تغيير في مفاهيمه ومرجعياته المعرفية والقيمية، ولذلك قيل: إنّ الرحالة يرحل ((ليتعلّم، ويعود إلى بلده ليُعيد إنتاج المعرفة بصيغٍ عديدة))[63].

أمّا مصطلح (السفر) فهو محدود الدلالة، يأتي للتعبير عن الحركة والانتقال من مكان إلى آخر وقطع مسافة بين نقطتين محدّدتين، حسيتين أو معنويتين، ومن هنا يكون (السفر) جزء من (الرحلة)، والأخيرة أعمّ وأشمل.

2- إنّ لمصطلح (الرحلة) دلالة أدبية لا تحملها كلمة (السفر)، ولذلك كانت (الرحلة) بكُلّ عناصرها وموضوعاتها حاضرة في الأدب شعراً ونثراً، ويتجلّى حضورها في القصيدة العربية الكلاسيسكية في المقدمة, وهي ركيزة أساسية في هيكلية القصيدة وبنائها الفني عند النقاد, وتتألف -عادة- من ((الوقوف على الأطلال، والغزل، ووصف الرحلة))[64]، وهي حاضرة – أيضاً- في النثر وفنونه، ضمن جنسٍ أدبي خاص يعرفُ بـ (أدب الرحلات) وهو ((الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة ... يتعرّض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، أو يسردُ مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آنٍ واحد، وقد اشتهر العربُ بأدب الرحلات، ومن أهمها رحلة ابن بطوطة))[65]، في حين لا يحمل مصطلح (السفر) هذه الدلالة الأدبية.

3- أمّا بخصوص الرحلة الصوفية، فإنّ مصطلح (السفر) في الفكر الصوفي يرتبط دائماً بـ (سفر القلب)، وهو نمط من أنماط السفر الصوفي، أمّا (الرحلة) بمفهومها الشامل عند الصوفية، فهي تستوجب جميع الأنماط: كالسفر الحقيقي (الحسي/ الجسدي) بمختلف أشكاله ودوافعه، والسفر المجازي (القلبي/ الروحي/ الرمزي) بتنوّع أنماطه ووسائله، وهكذا يكون مصطلح (الرحلة) شاملاً ومستوعباً لجميع أنواع السفر، أي أنّ الرحلة كُلٌّ والسفر جزءٌ من ذلك الكُلّ.

المحور الثاني: اتجاهات الرحلة الصوفية وأنماطها

(2-1-1) منطلق الرحلة الصوفية :

إنّ الإنسان منذ أن يولد حتى يموت هو في رحلة دائبة، فقد خلقه الله (سبحانه وتعالى) مُحباً للحركة والتنقل من موضع لآخر، وهناك أسباب عدّة تدفع الإنسان للسفر والترحال، من أجل تحقيق أهداف ومقتضيات مُعيّنة، ولا سيّما حين يكون للرحلة إسهام ودورٌ فعّال في هذا المجال، ومن هنا فقد اتسمت الرحلة بسِمة التعدّد ممّا اكسبها طابع التنوّع بحسب أهدافها وغاياتها ودوافعها[66].

هذا وقد عدَّ الإمام الغزالي الرحلة وسيلة للوصول إلى هدف مرغوب فيه، أو غاية للخلاص من أمر مهروب منه، حيث يقول: ((اعلم أنّ السفر نوع حركة ومخالطة، وفيه فوائد وله آفات..... والفوائد الباعثة على السفر لا تخلو من هروب أو طلب، فإنّ المسافر إمّا أن يكون له مُزعج عن مقامه، ولولاه لما كان له مَقصدٌ يسافر إليه، وإمّا أن يكون له مَقصدٌ ومَطلب))[67].

(2-1-2) دوافع الرحلة الصوفية وأسبابها:

alizzy1981@gmail.com

جمع ابن البنّا السرقسطي دوافع السفر وحكمته عند الصوفية في عشرة أسباب، فقال:

مَذهبُهم في جَولةِ البُلدانِ زيارةُ الشُّيوخِ والإخوانِ
ثُمَّ اقتِباسُ العِلمِ والآثـارِ أو رَدُّ ظُلمٍ أو للاعتبارِ
أو للخُمولِ أو لِنَفي الجَاهِ أو للرَّسولِ أو لِبيتِ اللهِ[68]

وبشكل عام، تتحدّد المقاصد العامة لهذا النوع الحسي من الرحلة الصوفية –في معظمها– بالاتجاهات التالية:

(2-2-2) رحلة الحج (الرحلة الحجازية) :

قال الإمام الغزالي في معرض حديثه عن دوافع الرحلة عند أهل الحقيقة: ((... والعمل إمّا عبادة وإمّا زيارة، والعبادة هي الحج والعمرة والجهاد، والزيارة أيضاً من القربات، وقد يُقصد بها المكان كمكة والمدينة وبيت المقدس، والثغور فإنّ الرباط بها قُربة))[69].

وتجدر الإشارة هنا، أنّ هذا النمط من الرحلة الصوفية ليس مجرد انتقال من مكان إلى مكان، كما يعتقد الكثير، وإنما هي منعطف هام في حياة الصوفي السالك وتجربته الروحية، وهكذا تصبح هذه الأمكنة المقدسة حافزاً على الرغبة في التماهي في حُبّ الله (تعالى)، والسير إليه (سبحانه)، ومصدراً للإلهام الروحي، وتطهيراً للنفس من دنس الذنوب، وعهداً للسير على الاستقامة أملاً في الوصول إلى مقامات القُرب والكشف والتجلّي، ولذا فليس من الغرابة أن تكون عذابات السفر ومشقة الرحلة حلوةً عذبة –عند الصوفي السالك– لما يرتجيه من رحلته.

(2-2-3) السياحة الصوفية :

وهي للتفكّر، في عجائب صنع الله (سبحانه وتعالى) ومصائر الخلق، قال ابن عجيبة الحسني: ((من سُنّة الفقراء في بداياتهم الجولان في البلدان، وعدم التقرّر في الأوطان))[70]، وكان بشر الحافي يقول: ((يا معشر القُرّاء سيحوا تطيبوا، فإنّ الماء إذا ساح طاب، وإن طال مقامه في موضعه تغيّر))[71]، والسياحة من سُنن التصوف وآداب السلوك، ولا بُدّ للصوفي منها، ولا سيّما في بدايات الطريق[72]، وقد اختلفوا في مُدة السياحة، وجعل الشيخ أبو الحسن العمراني أقل السياحة أربعة عشر عاماً[73]، قال الشيخ عبدالقادر الجيلاني يصِف سياحته: ((وأقمتُ في صحراء بغداد والعراق وخرائبها نحو خمسٍ وعشرين سنة على التجريد والسياحة))[74].

(2-2-4) رحلة طلب العلم والرحلة الزيارية :

كالرحلة للقاء الأولياء والصالحين وأعلام هذا الشأن, وينضوي تحت هذا اللون من السفر، الرحلة في طلب العلم، وقد تحدّث ابن خلدون عن أهمية هذا النوع من السفر وفوائده قائلاً: ((فالرحلة لا بُدَّ منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد، والكمال بلقاء المشايخ، ومباشرة الرجال))[75].

(2-2-5) رحلة البحث عن شيخ الطريقة (القطب) :

ومن أهم الأسباب التي دفعت الكثير من الصوفية الى السفر هي الرحلة بنيّة البحث عن شيخ الطريقة، شيخ مرشد يتبركون به، وينتفعون بدعواته، يعرّفهم الحقيقة، ويعلمهم الطريقة، ويلبسهم الخِرقة، يفيض عليهم بمدده بالأسرار والأنوار، ويوصلهم بمعيّته إلى حضرة العزيز الجبار[76].

وتجدر الإشارة هنا، إلى أنّ هذه الرحلة –رحلة البحث عن الشيخ المرشد– تُعد رحلة تأسيسية، تسبق زمن التجربة الصوفية والاستغراق في عوالمها الروحية الخاصة[77]، ولنا أن نستشهد بالعديد من النماذج الصوفية في هذا الباب، فابن الفارض بعد عودته من سياحته الصوفية يلتقي بالشيخ حسن البقّال في المدرسة السيوفية فيخبره بأنّه لن يُفتح عليه في مصر وإنّما في مكة المكرمة، وعليه أن يقصدها[78]، ورحلة السيد أبو الحسن الشاذلي حين خرج من بلاد المغرب للبحث عن الشيخ المرشد في العديد من البلدان حتى وصل إلى العراق، فأخبره أحد المشايخ بأنّه خلّف مطلبه وراءه في المغرب, فرجع السيد الشاذلي أدراجه والتقى بالشيخ (عبد السلام بن مشيش) في أقصى المغرب[79].

ومن ذلك أيضاً, رحلة الشيخ العربي الدرقاوي إلى حين لقائه شيخه أبي الحسن العمراني الحسني المعروف بـ(الجمّال)[80]، ورحلة الشيخ العلوي الشنقيطي الذي شدّ رحاله إلى مكة المكرمة بحثاً عن شيخ الطريقة, ولكنه يسمع هاتفاً ربّانياً أثناء الطواف يخبره بأنّ الشيخ المطلوب موجود بمدينة فاس في المغرب، وهو الشيخ التجاني[81].

ويستمر هذا العُرف الروحي مع الصوفية حتى العصر الحديث، ومن أشهر ما يذكر في هذا الباب قصة الشيخ الشعراوي في البحث عن الشيخ المرشد، ورحلته الى تلمسان –إثر رؤيا شهودية– حيث يلتقي هناك بالشيخ (سيدي مُحَمَّد بلقايد) شيخ الطريقة الهبرية، وقد سجّل الشيخ الشعراوي

تفاصيل هذه الرحلة العرفانية في قصيدة صوفية طويلة، يقول فيها:

نـُورُ القُـلـوبِ وريّ رُوح الـوارِدِ ... هِـبـريـةٌ تُدني الـوصُولَ لِعـابدِ
تَزهـو بِسلسِلـةٍ لـهَـا ذَهبيّـةٍ ... مِنْ شَاهِدٍ للمُصطَفى عَنْ شَاهدِ
طَوّفتُ في شَرقِ البِلادِ وغَربِها ... وبَحثتُ جُهدي عَـنْ إمَـامٍ رَائدِ
أشـفِي بِهِ ظَـمأً لِـغَيبِ حَقيقَةٍ ... وأهِيـمُ مِنـهُ في جَـلالِ مَشَـاهدِ
فَهَـدانيَ الـوَهّـابُ جَلَّ جَلالهُ ... حَتّى وَجدتُ بِتلْمِسَانّ مَقاصِدي
واليَـومَ آخذُ نُورَها عَنْ شَيخِنا ... مُحيي الـطّريـقِ مُـحمّدٍ بِـلقَـائدِ
ذُقنا مَواجيـدَ الحَقيقةِ عِنـدَهُ ... وبـهِ عَـرجنـا في صَفـاءِ مَصَاعدِ[82]

ولمّا كان التصوف سلوك وتحقيق، وسفرٌ إلى حضرة الحق (سبحانه) كان الشيخ المرشد بمثابة حادي الركب في معرفة الطريق، وهو أيضاً بمنزلة الطبيب للنفوس والقلوب، بما عرف من طباعها ورغباتها ونوازعها, وبما فتح الله (تعالى) عليه – بالكشف والتجلّي– من أسرار الحقائق العرفانية وأنوار المعارف الربانية، ولا عجب فالصوفي في رحلته يذهب ليتعلّم، ويغدو بعد الرحلة معلّماً[83]، يقول السرقسطي مؤكداً هذا المعنى :

وإنّمَـا القَـومُ مُسَـافِرونَ ... لِـحَضـرةِ الـحَقِّ وظَـاعِنُـونَ
فافتَـقروا فِـيهِ إلى دَلـيـلِ ... ذِي بَصَرٍ بالسَّيرِ والـمَقيلِ
قَدْ سَلَكَ الطّريقَ ثـمَّ عَادَ ... لِـيُخبِرَ القَـومَ بِـمَا استَـفـادَ
والسَّفرُ المَذكُورُ بالقُلوبِ ... والشَّيخُ في مَنزلـةِ الطَّبيبِ [84]

ومن هنا كان للصحبة في التربية الروحية للسالك شأن كبير عند الصوفية، قال الشيخ أبو علي الدّقاق: ((الشجر إذا نبت بنفسه ولم يستنبته أحدٌ، يُورق ولا يثمر، كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يتخرّج به لا يجيء منه شيء))[85].

ويروى عن مُحَمَّد بن عبد الوهاب الثقفي –في هذا الشأن– قوله: ((لو أنّ رجلاً جمع العلوم كُلّها، وصحب طوائف الناس، لا يبلغ مبلغ الرجال إلّا بالرياضة من شيخ أو إمام أو مؤدب ناصح، ومن لم يأخذ أدبه من أستاذ يُريه عيوب أعماله ورعونات نفسه، لا يجوز الاقتداء به))[86].

وإنّما حظي الشيخ المرشد بهذه المنزلة في السلوك الصوفي، لأنّه دليل السالك في الوصول إلى حضرة الحق (سبحانه)، فالشيخ هو الدليل، والدليل هو الموصل للمطلوب، فإذا أرشدك الله (جلّ جلاله) إلى أحد أوليائه العارفين به وأوصلك إليه، فقد هداك إلى حقيقة معرفته (جلّت قدرته) والوصول إليه (تبارك وتعالى), يقول ابن عطاءالله السكندري: ((سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلّا من حيث الدليل عليه، ولم يُوصل إليهم إلّا من أرادَ أن يوصله إليه))[87].

(2–3–1) اتجاهات الرحلة الصوفية وأنماطها :

هكذا تتجلّى دوافع الرحلة عند الصوفية، وتتعدّد أنماطها واتجاهاتها، وبالجملة، واعتماداً على ما قد سبق، يمكن أن نحدّد اتجاهات الرحلة عند الصوفية –بشكل عام– في نوعين رئيسين:

1– **رحلة جسدية (حسّية)**: ويقصد منها –في غالبيتها– البُعد التربوي التطهيري، في ترسيخ القيم السلوكية والدينية من ناحية، ومن ناحية أخرى تهيئة الصوفي للمعراج الروحي, وهو رحلة روحية وجدانية منفصلة كُلياً عن حيثيات الواقع الحسي للصوفي وسلوكياته[88].

2– **رحلة روحية (رمزية)**: وفي هذا النوع من الرحلة يتفرّغ الصوفي السالك لرحلة روحية وسفر معنوي من خلال ترقّيه في المقامات العرفانية, والكشف عن الحقائق والاتصال بالأسرار والأنوار ، وهي رحلة رمزية تتحدّد مجالاتها وآفاقها داخل نفس الصوفي السالك وعوالمها [89].

وممّا سبق يمكن أن نمثل لأنماط الرحلة الصوفية بالمخطط الآتي:

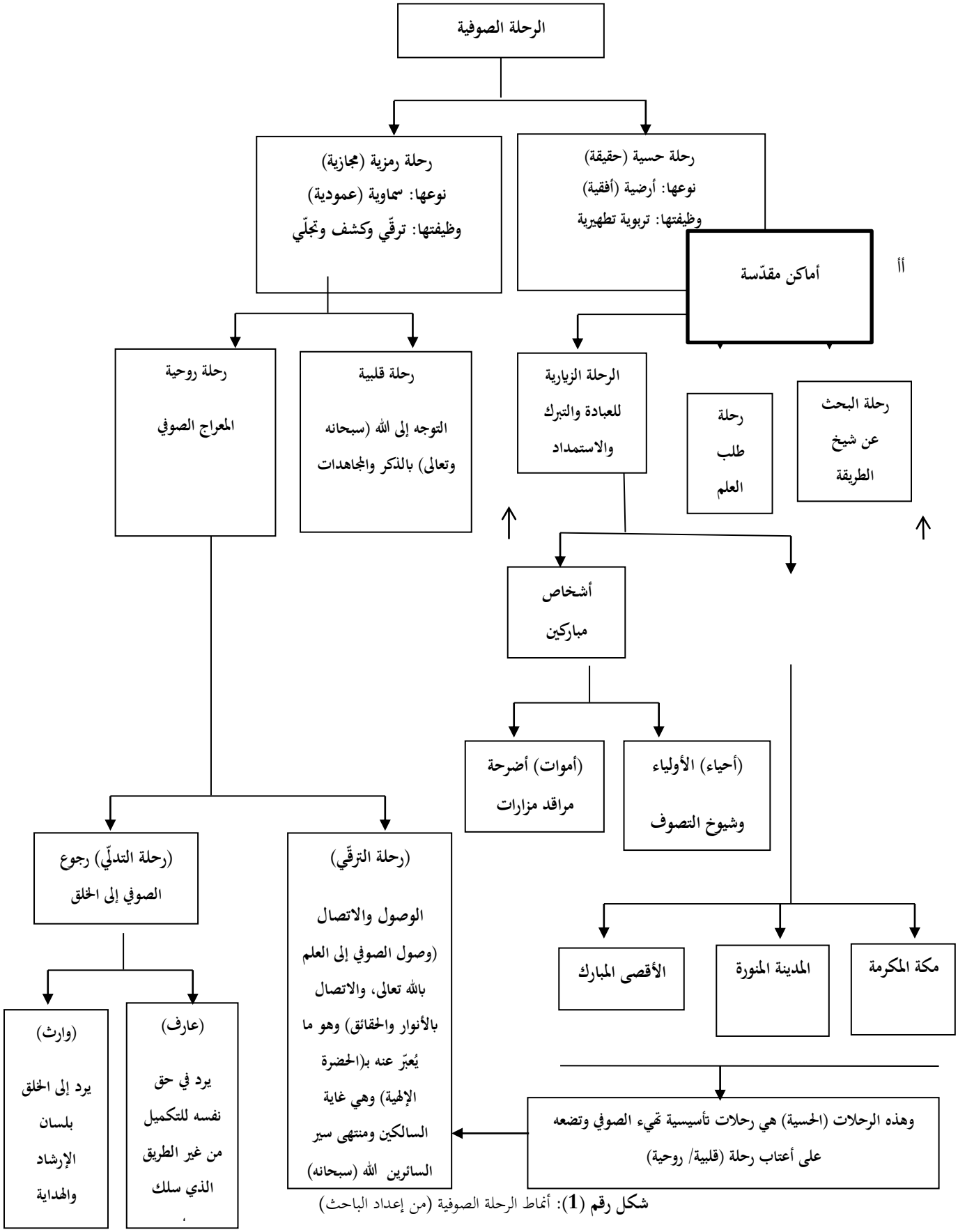

شكل رقم (1): أنماط الرحلة الصوفية (من إعداد الباحث)

وهكذا يمكن النظر إلى الرحلة بوصفها ضرورة منهجية لرُقي الصوفي السالك، لا يستغني عنها مُريد أو واصل، كونها تستمد ضرورتها من أهمية السفر في قطع المنازل والمقامات، في سعي أبدي نحو الكمال، بالترقي في مدارج السلوك العرفاني، لتشكّل –الرحلة– أهم محطات التجربة الروحية في السلوك الصوفي، حيث لا يرتقي، ولا يكمل، من لا يرحل[90].

المحور الثالث: مرجعية الرحلة الصوفية

تُعد الرحلة حلقة رائعة ومثيرة من تلك المنظومة الإلهية التي تشمل الكون وتوجه أنساقه البشرية والطبيعية لتحقيق المزيد من محاولات اكتشاف الذات الإنسانية، واختراق حاجز المسافات الطبيعية لاكتشاف الحياة بصورها المختلفة[91].

ولذا فإنّ الدين الإسلامي الحنيف لم يترك وسيلة يمكن أن ترتقي بالإنسان وسلوكياته إلّا وحثّ عليها , وشجّع على العمل بها, ومن ذلك الرحلة, نظراً لأهميتها في تهذيب النفس الإنسانية والارتقاء بها وتثقيف صاحبها , كالرحلة في طلب العلم, وتحصيل المعارف المختلفة, والاطلاع على حضارات الشعوب وأحوال الأمم ومصائرها [92].

ولما كان الفكر الصوفي يُعدُّ ((نموذجاً لفكر (التجاوز) في الحضارة الإسلامية، فقد انتبه مُبكراً إلى أهمية توظيف السفر في عملية اختصار المسافة، نحو فتح آفاق أكثر رحابة وقدسية وإطلاقاً أمام المريد السالك))[93]، مستنداً في هذا على مرجعية النص القرآني، الذي رغّب بالرحلة والسفر وحثّ عليهما في الكثير من الآيات[94].

فقد وردت (الرحلة) بلفظها الصريح مرة واحدة في القرآن الكريم[95], ووردت بعض تقليباتها مثل (الرّحل) و(الرّحال) ثلاث مرات[96], بينما ورد (السفر) بلفظه الصريح سبع مرات في القرآن الكريم, مرتان مع الصيام[97], ومرة مع الدَّين[98], ومرتان مع الصلاة[99], ومرة مع متاع الدنيا[100], ومرة في طلب العلم والمعرفة[101], وردت بعض مشتقات كلمة (السفر) مثل (أسفر) و(مسفرة) مرتين[102].

كما حضرت (الرحلة) ومثلها (السفر) –على تنوّع أغراضهما وأنماطهما– كثيمة أساسية في قصص الأنبياء والمرسلين (عليهم الصلاة والسلام) التي تحدّث عنها القرآن الكريم, فقد خصّ الله (تعالى) أنبياءه ورسله الكرام –كُلاً– بسفرٍ أو أسفارٍ تتلاءم وبعثته ونبوّته, فأهبط آدم إلى الأرض, وحمل نوح في البحر, وذهب بإبراهيم الخليل ليمنحه كرامته, وأمر لوط بالخروج من قريته والسير بأهله ليلاً, وأخرج يوسف من السجن, وذهب بيونس إلى بطن الحوت, ورفع عيسى المسيح إليه[103], وتعد قصة النبي موسى (عليه الصلاة والسلام) – بمراحاها المختلفة – من أكثر القصص القرآنية تمثيلاً للرحلة , بتعدّد أشكالها ودوافعها, ومن ذلك رحلته من مصر إلى مدين[104], ورجوعه من مدين إلى مصر ورحلته إلى جبل الطور وهو (مقام التكليم والتشريف والتكليف)[105], ورحلته إلى مجمع البحرين للقاء العبد الصالح ومن ثمّ مصاحبته في عِدّة أسفار في البحر والبَرّ[106], وأشهر الرحلات النبوية وأشرفها رحلات النبي الأكرم مُحَمَّد (صلى الله تعالى عليه وسلم) كرحلته إلى الطائف لنشر دعوته المباركة, وهجرته الشريفة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة, ورحلته (الأرضية – السماوية) ومعجزته الكونية التي تجسّدت في رحلتي الإسراء والمعراج[107].

هكذا تجلّت الدعوة القرآنية في مواضع عديدة مشيرة إلى الترغيب في الانتشار والرحلة والسفر، برّاً وبحراً، ذلك ((لأنّ النفوس لا تزكو بالقعود في الرحال، والمطالب الجسام لا تُنالُ بالوعود على حال من الأحوال، وإنّما تصلح النفوس وتصح بالتنقل والترحال، للاطلاع على الغرائب، والاستطلاع للعجائب، وكشف الجديد من المشاهد))[108].

وفي استرشادهم لأهمية الرحلة، ودعوة الاسلام إليها، بدأ بعض الصوفية كتب رحلاتهم بآيات من القرآن الكريم، على نحو ما فعل الشيخ مُحَمَّد السنوسي، حيث بدأ كتابه (الرحلة الحجازية) بما أسماه أنموذج السفر، وأورد فيه من الآيات القرآنية الكريمة ما ينبّه إلى فضيلة السفر والدعوة إليه، فكتب يقول: ((لا يخفى أنّ الله جلّت حكمته لم يجمع منافع الدنيا في أرض واحدة، بل فرّق المنافع والجهات، وأحوج بعضها إلى بعض، ولذلك كانت الأسفار ممّا تزيدُنا علماً بقدرة الله تعالى وحكمته))[109].

هذا فضلاً عن جانب دلالة الرحلة، والسفر، والهجرة، في الحديث النبوي الشريف، كما في قوله (ﷺ): ((سافروا تصحوا))[110]، وقوله (عليه الصلاه والسلام): ((إنّما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه))[111]، وقوله (عليه أفضل الصلاه وأتم السلام): ((يا أبا ذر: جدّد السفينة فإنّ البحر عميق، وخفّف الحمل فإنّ السفر بعيد، واحمل الزاد فإنّ العقبة طويلة، واخلص العمل فإنّ الناقد بصير))[112]، إلى غير ذلك من الأحاديث والآثار النبوية الشريفة .

وانطلاقاً من تلك الرؤية القرآنية والنبوية غدت (الرحلة) من أهم الرياضات الروحية في التجربة الصوفية، وآداب السير والسلوك إلى حضرة ملك الملوك (جلّ شأنه)، وهذا ما أضفى على الرحلة صبغة روحية ورمزية منذ الرعيل الأول من المتصوفة [113].

ولذا فقد أفردوا لها في مؤلفاتهم أبواباً خاصة، يقول القشيري: ((ولمّا كان رأي كثير من هذه الطائفة اختيار السفر، أفردنا لذكر السفر في هذه الرسالة باباً، لكونه من أعظم شأنهم))[114]، وشاعت في مصنفاتهم الكثير من الألفاظ التي تدل على السفر، كالسياحة، والسير، والطريق، والرحلة، والهجرة، والسلوك، ووجدناهم يطلقون على أصحاب هذا الطريق تسميات، من مثل: السالكين، السائحين، المسافرين، المرتحلين، الظاعنين، السائرين، الواصلين... إلى غير ذلك من الألفاظ، وهي مصطلحات تتردّد باستمرار وكثرة في كتبهم[115].

كل ذلك يجلّي قيمة الرحلة في توجيه سلوك الإنسان عامة والصوفي السالك خاصة، يقول المسعودي: ((ليس من لزم جهة وطنه، وقنع بما نما عليه من الأخبار من إقليمه، كمن قسّم عمره على قطع الأقطار، ووزّع بين أيامه تقاذف الأسفار، واستخرج كل دقيق من معدنه، وأثار كل نفيس من مكمنه))[116]، فالرحلة خير مُعين على كشف حُجُب المجهول من الأقوال والأحوال، وهذا ماجعل المستشرق الفرنسي (سافاري) يقول: ((إنّ الرحلة أكثر المدارس تثقيفاً للإنسان))[117].

وفي خضم كل هذا، يجب على الصوفي السالك –في حياته الدنيا– أن يعمل على تجسيد حقيقته الوجودية، لهذا اقترن السفر عند الصوفية بالعمل، واقترن العمل بالعبادة، قولاً وفعلاً، حتى قال ابن عربي: ((السفر عمل: قلباً وقالباً، معنى وحسّاً...))[118]، من هنا كان السفر على المستوى الإنساني –ذلك الكائن الجامع لحقائق العالم والمختصر للحضرة الإلهية– هو الحياة والحركة، هو العبادة التي وُجد لأجلها، هو معرفة الله تعالى، والوصول إليه سبحانه، والاتصال به جلّ جلاله، والاتصال بالمطلق يتطلب حركة وسفراً لا حدّ لهما.

إنّ هذه الحيوية التي يمنحها التصوف للرحلة، ويدعو الناس لاكتشافها فيها، لما تُسفر عنه من تجارب ومعارف وإدراكات وفوائد لا حصر لها بوصفها رمزاً للمزيد من التطهّر والقُرب، والتحوّل الروحي من حيث الدلالة والأبعاد والتجلّيات والمرجعيات، تجعل من الرحلة الصوفية قضية ذات طابع عرفاني –رمزي، وعالمي، وهو ما صرّح به (دوني غريل) حيث قال: ((هل هناك أكثر من السفر رمزية وعالمية؟!))[119].

❖ الهوامش والإحالات

(1) النقد التطبيقي في الرحلات المغربية في القرنين السابع والثامن الهجريين، لبنى لونانسة: 41.

(2) لسان العرب: 1608/18-1611.

(3) الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، د. ناصر عبد الرزاق الموافي: 23.

(4) الرحلة وفتنة العجيب بين الكتابة والتلقي، د. خالد التوزاني: 50.

(5) ينظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي: 307/3-208؛ وجمهرة اللغة، ابن دريد الأزدي: 142/2؛ وتهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري: 5/5؛ والصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، إسماعيل بن حماد الجوهري: 1706/4-1708.

(6) ينظر: الرحلة الجزائرية في العهد العثماني، الطاهر الحسيني: 7.

(7) ينظر: الرحلة وفتنة العجيب: 50.

(8) ينظر: الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري: 23-24.

(9) ينظر: موسوعة حروب ومعارك العرب في الجاهلية، هيثم جمعة هلال: 246-250.

(10) ينظر: معجم البلدان: 405/5.

(11) الرحلة الجزائرية في العهد العثماني: 4.

(12) لسان العرب: 2024/23-2025.

(13) الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): 685/2-687.

(14) لسان العرب: 1611/3.

(15) ينظر: قاموس اكسفورد الحديث (انكليزي – انكليزي – عربي): 868.

(16) لسان العرب: 2024/3.

(17) قاموس فرنسي – عربي، سهيل إدريس: 1280.

(18) ينظر: الرحلة في شعر أبي تمام، سعد الله عبد الرحمن شيخ علي البريفكاني: 82-83.

(19) ينظر: التربية الروحية وأبعاد التأويل في الرحلة الصوفية (دراسة في رحلة الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى الحجاز, للشيخ العربي بن عبد الله شنتوف المعسكري) , د. مُحَمَّد سعيدي و زهرة بن يمينة: 122.

(20) ينظر: الرحلة في الشعر الصوفي، وفيق سليطين وعلي ديوب: 64-65.

(21) الإسفار عن نتائج الأسفار: 352.

(22) ينظر: المصدر نفسه: 4-9.

(23) الرحلة العياشية (ماء الموائد): 772/3.

(24) كتاب التعريفات: 199.

(25) ينظر: الرحلة وفتنة العجيب: 87-88.

(26) الفتوحات المكية (ط. دار صادر): 15/4.

(27) إحياء علوم الدين: 206/3.

(28) الرسالة القشيرية: 190.

(29) كتاب قوانين وحِكم الإشراق إلى كافة الصوفية بجميع الآفاق: 100.

(30) ينظر: الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، ابن عجيبة الحسني: 74.

(31) إيقاظ الهمم في شرح الحِكم، ابن عجيبة الحسني: 23/1.

(32) رحلة في السواد: 7-8.

(33) ينظر: الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية: 74.

(34) إيقاظ الهمم في شرح الحِكم: 429/1-433.

(35) حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب، عماد الدين مُحَمَّد بن الحسن القرشي الأموي, بهامش كتاب (قوت القلوب في معاملة المحبوب , لأبي طالب مُحَمَّد بن علي المكي) : 275/2.

(36) الفتوحات المكية (ط. دار صادر): 12/4.

(37) موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم والفنون: 957/1.

(38) غيث المواهب العلية في شرح الحِكم العطائية، ابن عبّاد النِفّري الرُندي: 232.

(39) حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب: 271/2.

(40) الرحلة العياشية (ماء الموائد): 323/2.

(41) كتاب الإسرا إلى المقام الأسرى: 1-2.

(42) سورة النجم: الآية (9).

(43) ينظر: ابن عربي (سيرته وفكره)، كلود عَدّاس: 252.

(44) تاريخ الفلسفة الإسلامية: 283.

(45) ينظر: ابن عربي (سيرته وفكره): 252-253.

(46) رسالة الأنوار فيما يمنح صاحب الخلوة من الأسرار: 217.

(47) الفتوحات المكية , تح: يحيى عثمان: 350/3.

(48) إحياء علوم الدين: 207/3.

(49) ينظر: الرحلة وفتنة العجيب: 88-89.

(50) الإسفار الغريب نتيجة السفر القريب، عبد الكريم الجبلي: 9-10.

(51) الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية: 74.

(52) ينظر: غيث المواهب العلية في شرح الحِكم العطائية: 232.

(53) إيقاظ الهِمم في شرح الحِكم: 232/1.

(54) غيث المواهب العلية في شرح الحِكم العطائية: 198.

(55) المصدر نفسه: 198.

(56) ينظر: ابن العربي (المسافر العائد)، ساعد خميسي: 152.

(57) ينظر في دلالة كلمة (سفر): لسان العرب: 2024/23-2025 ؛ الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): 685/2-687؛ ابن العربي (المسافر العائد) : 152 ؛ التربية الروحية وأبعاد التأويل في الرحلة الصوفية: 123-124.

(58) إحياء علوم الدين: 210/3.

(59) ينظر: الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية: 175.

(60) الرحلة العياشية (ماء الموائد): 323/2.

(61) ينظر: الرحلة وفتنة العجيب: 81.

(62) أدب الرحلات، د. حسين مُحَمَّد فهيم: 7.

(63) أدبية الرحلة, عبد الرحيم مودن: 30.

(64) بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، د. يوسف حسين بكار: 213.

(65) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه وكامل المهندس: 17.

(66) ينظر: أدب الرحلة في التراث العربي، فؤاد قنديل: 17-18.

(67) إحياء علوم الدين: 208/3.

(68) الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية: 171

(69) إحياء علوم الدين: 209/3.

(70) الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية: 171.

(71) الرسالة القشيرية: 241.

(72) ينظر: الفتوحات المكية (ط. دار صادر): 3/340-342.

(73) ينظر: أدب الرحلة الصوفية في الغرب الإسلامي، عبد الرحيم علمي: 54.

(74) الأنوار القدسية في بيان قواعد الصوفية، عبد الوهاب الشعراني: 186.

(75) مقدمة ابن خلدون: 579.

(76) ينظر: الرحلة الجزائرية في العهد العثماني: 18.

(77) ينظر: أدب الرحلة الصوفية في الغرب الإسلامي: 58.

(78) ينظر: ديوان ابن الفارض، تح: عبد الخالق محمود: 22 (ديباجة الديوان).

(79) ينظر: المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أو الحسن الشاذلي، د. عبد الحليم محمود: 22.

(80) ينظر: مجموعة رسائل مُحَمَّد العربي الدرقاوي في التصوف وآدابه: 6.

(81) ينظر: أدب الرحلة الصوفية في الغرب الإسلامي: 59.

(82) أنا من سلالة آل البيت (الجانب الروحي من حياة الإمام الشعراوي – إعداد وتحقيق ودراسة)، مجدي عبد المعطي: 114-115.

(83) ينظر: أدبية الرحلة: 30.

(84) الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية: 74، 87.

(85) الرسالة القشيرية: 195.

(86) المصدر نفسه: 268.

(87) غيث المواهب العلية في شرح الحِكم العطائية: 150.

(88) ينظر: أدب الرحلة الصوفية في الغرب الإسلامي: 62.

(89) ينظر: المصدر نفسه: 62.

(90) ينظر: الرحلة وفتنة العجيب: 85.

(91) ينظر: الرحلة في التراث العربي: 21-22.

(92) ينظر: الرحلات، مُحَمَّد الخضر حسين: 8.

(93) أدب الرحلة الصوفية في الغرب الإسلامي: 51.

(94) ينظر في ذلك مثلاً: سورة النساء: الآيات (96-100)، سورة الأنعام: الآية (11)، سورة التوبة: الآية (122)، سورة يونس: الآية (22)، سورة النحل: الآية (36)، سورة الكهف: الآيات (60-63، 85-95)، سورة النمل: الآية (69)، وغيرها.

(95) سورة قريش: الآية (2) .

(96) سورة يوسف: الآيات (75,70,62)

(97) سورة البقرة: الآيتان (184-185) .

(98) سورة البقرة: الآية (283) .

(99) سورة النساء: الآية (43) , وسورة المائدة: الآية (6) .

(100) سورة التوبة: الآية (42) .

(101) سورة الكهف: الآية (62) .

(102) سورة المدثر: الآية (34) , وسورة عبس: الآية (38) .

(103) ينظر: الإسفار عن نتائج الأسفار: 1-2 .

(104) سورة القصص: الآيات (21-28) .

(105) سورة القصص: الآيات (29-35) , وسورة طه: الآيات (9-46) .

(106) سورة الكهف: الآيات (60-82) .

(107) سورة الإسراء: الآية (1) , وسورة النجم: الآيات (8-18) .

(108) الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري: 28.

(109) الرحلة الحجازية: 45.

(110) الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، جلال الدين السيوطي: 2/39.

(111) صحيح البخاري، مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري: 1/21.

(112) الفردوس بمأثور الخطاب، أبو شجاع شيرويه الديلمي الهمذاني: 5/339.

(113) ينظر: أدب الرحلة الصوفية في الغرب الإسلامي: 52.

(114) الرسالة القشيرية: 189.

(115) ينظر: إيقاظ الهمم في شرح الحكم:1/ 57-134؛ غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية: 56-252؛ الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية: 74-87.

(116) مروج الذهب ومعادن الجوهر: 25.

(117) أدب الرحلة في التراث العربي: 22.

(118) الفتوحات المكية , تح: يحيى عثمان: 3/361.

(119) ابن العربي (المسافر العائد): 135.

❖ المصادر والمراجع :

• أولاً : الكتب :

- أحمد بن مُحَمَّد بن عجيبة الحسني, إيقاظ الهِمم في شرح الحِكم للعارف بالله تاج الدين أحمد بن مُحَمَّد بن عطاء الله السكندري, (الجزء: 1), ضبطه وصحّحه ونسّقه وعلّق عليه: د. عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي, الطبعة الخامسة, دار الكتب العلمية – لبنان, 2016م.
- أحمد بن مُحَمَّد بن عجيبة الحسني, الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية لابن البنّا السرقسطي, اعتنى به: د. علي أبو الخير, الطبعة الثانية, دار الخير – سوريا – لبنان, 1426هـ = 2016م.
- إسماعيل بن حمّاد الجوهري, الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية), (الأجزاء: 4,2), تح: أحمد عبد الغفور عطار, الطبعة الثالثة, دار العلم للملايين – لبنان, 1404هـ = 1984م .

– جامعة أكسفورد, قاموس أكسفورد الحديث (إنكليزي- إنكليزي- عربي), الطبعة الثانية, جامعة أكسفورد بريس – الولايات المتحدة الأمريكية, 2006م.

– د. حسين مُحَمَّد فهيم, أدب الرحلات, (د.ط), سلسلة عالم المعرفة (138), المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت, 1989م.

– د. خالد التوزاني, الرحلة وفتنة العجيب بين الكتابة والتلقي, الطبعة الأولى, دار السويدي – الإمارات, المؤسسة العربية للدراسات والنشر – لبنان, 2017م.

– الخليل بن أحمد الفراهيدي, كتاب العين, (الجزء: 3), تح: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي, (د.ط), دار الرشيد – العراق, 1980م.

– ساعد خميسي, ابن عربي (المسافر العائد), الطبعة الأولى, الدار العربية للعلوم ناشرون – لبنان, منشورات الاختلاف – الجزائر, 1431هـ= 2010م.

– سهيل إدريس, قاموس فرنسي- عربي, الطبعة الأولى, دار الآداب – لبنان, 2007م.

– شيرويه بن شهردار أبو شجاع الديلمي الهمذاني, الفردوس بمأثور الخطاب, تح: السعيد بن بسيوني زغلول, (الجزء: 5), الطبعة الأولى, دار الكتب العلمية – لبنان, 1986م.

– صادق الطريحي, رحلة في السواد, الطبعة الأولى, سلسلة الموسوعة الثقافية (140), دار الشؤون الثقافية العامة – العراق, 2015م.

– د. عبد الحليم محمود, المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي, (د.ط), سلسلة قضية التصوف (2), (د. مط)- القاهرة, (د.ت) .

– عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي, الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير, (الجزء: 2), الطبعة الأولى, دار الفكر – لبنان, 1401هـ = 1981م.

– عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن خلدون, مقدمة ابن خلدون, اعتنى به: هيثم جمعة هلال, الطبعة الأولى, مؤسسة المعارف, بيروت – لبنان, 1428هـ = 2007م.

– عبد الرحيم مودن, أدبية الرحلة, الطبعة الأولى, دار الثقافة – المغرب, 1996م.

– عبد الكريم الجيلي, الإسفار الغريب نتيجة السفر القريب, تح: بدوي طه علاّم, (د.ط), دار الرسالة للتراث – مصر, 1982م.

– عبد الكريم بن هوازن أبو القاسم القشيري النيسابوري, الرسالة القشيرية, (د.ط), دار صادر – لبنان, (د.ت) .

– عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني, الأنوار القدسية في بيان قواعد الصوفية, تح: لجنة التراث في الدار, (د.ط), دار صادر – بيروت, دار البشائر – سوريا, (د.ت) .

– علي أبو الحسن المسعودي, مروج الذهب ومعادن الجوهر, تح: محيي الدين عبد الحميد, (د.ط), مطبعة الرجاء – مصر, 1938م.

– علي بن مُحَمَّد بن علي الشريف الجرجاني الحنفي, كتاب التعريفات, تح: نصير الدين تونسي, الطبعة الأولى, مطبعة القدس – مصر, 2007م.

– عمر بن الفارض, الديوان, تح: عبد الخالق محمود, الطبعة الثانية, دار المعارف – مصر, 1984م.

– فؤاد قنديل, أدب الرحلة في التراث العربي, الطبعة الثانية, مكتبة الدار العربية للكتاب – مصر, 1423هـ = 2002م.

– كلود عدّاس, ابن عربي (سيرته وفكره), ترجمة: د. أحمد الصادقي, مراجعة وتقديم: د. سعاد الحكيم, الطبعة الأولى, دار مدار الإسلامي – لبنان, 2014م.

– مجدي عبد المعطي, أنا من سلالة آل البيت (الجانب الروحي من حياة الإمام الشعراوي – إعداد وتحقيق ودراسة), الطبعة الأولى, دار الروضة – مصر, 1434هـ = 2013م.

– مجدي وهبة وكامل المهندس, معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب, الطبعة الثانية, مكتبة لبنان – لبنان, 1984م.

– مُحَمَّد بن إبراهيم أبو عبد الله ابن عبّاد النِفّري الرُندي, غيث المواهب العلية في شرح الحِكَم العطائية, اعتنى به: د. علي أبو الخير, الطبعة الأولى, دار الخير – سوريا – لبنان, 1425هـ = 2004م.

– مُحَمَّد بن أحمد أبو منصور الأزهري, تهذيب اللغة, (الجزء: 5), تح: عبد الله الدرويش, مراجعة الأستاذ: مُحَمَّد علي النجار, (د.ط), مطابع سجل العرب – مصر, (د.ت) .

– مُحَمَّد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري, صحيح البخاري, (الجزء: 1), (د.ط), دار إحياء التراث – لبنان, (د.ت) .

– مُحَمَّد بن الحسن أبو بكر بن دريد الأزدي البصري, جمهرة اللغة, (الجزء: 2), الطبعة الأولى, مكتبة المثنى – العراق, 1345هـ .

– مُحَمَّد بن الحسن عماد الدين القرشي الأموي, حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب، بهامش كتاب (قوت القلوب في معاملة المحبوب , لأبي طالب مُحَمَّد بن علي المكي), (الجزء: 2), (د.ط), المطبعة الميمنية – 1310هـ = 1982م.

– مُحَمَّد الخضر حسين, الرحلات, جمع وتحقيق: علي الرضا التونسي, (د.ط), المطبعة التعاونية – لبنان, 1976م.

- د. مُحَمَّد سعيدي و زهرة بن يمينة, التربية الروحية وأبعاد التأويل في الرحلة الصوفية (دراسة في رحلة: الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى الحجاز, للشيخ العربي بن عبد الله شنتوف المعسكري) , ضمن كتاب: (فن الرحلة – دراسات نقدية: مؤلف جماعي), الطبعة الأولى, دار غيداء – الأردن, 1439هـ = 2018م.
- مُحَمَّد السنوسي, الرحلة الحجازية, تح: علي الشنوفي, (د.ط), الشركة التونسية للتوزيع – تونس, 1976م.
- مُحَمَّد الشاذلي جمال الدين أبو المواهب التونسي, كتاب قوانين وحِكم الإشراق إلى كافة الصوفية بجميع الأنحاء, (د.ط), دار بدايات – سوريا, 2006م.
- مُحَمَّد العربي أبو عبد الله الدرقاوي الحسني, مجموعة رسائل مُحَمَّد العربي الدرقاوي في التصوف وآدابه, (د.ط), طبعة حجرية (د.مط) – المغرب, 1334هـ .
- مُحَمَّد بن علي التهانوي, موسوعة كشّاف اصلاحات العلوم والفنون, (الجزء: 1), تح: د. علي دحروج, نقله إلى العربية: د. عبد الله الخالدي, تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم, الطبعة الأولى, مكتبة لبنان ناشرون – لبنان, 1996م.
- مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد محيي الدين ابن عربي الطائي الحاتمي, الإسرا إلى المقام الأسرى, (ضمن كتاب: رسائل ابن عربي), (د.ط), (د. مط) – حيدر آباد, 1948م.
- مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد محيي الدين ابن عربي الطائي الحاتمي, الإسفار عن نتائج الأسفار, (د.ط), جمعية دائرة المعارف الإسلامية – حيدر آباد – الدكن, 1367هـ = 1948م.
- مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد محيي الدين ابن عربي الطائي الحاتمي, رسالة الأنوار فيما يمنح صاحب الخلوة من الأسرار, (ضمن كتاب: رسائل ابن عربي), (د.ط), (د. مط) – حيدر آباد, 1948م.
- مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد محيي الدين ابن عربي الطائي الحاتمي, الفتوحات المكية, (الأجزاء: 4,3,1), قرأه وقدّم له: نواف الجرّح, (د.ط), دار صادر – لبنان, (د.ت) .
- مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد محيي الدين ابن عربي الطائي الحاتمي, الفتوحات المكية, (الجزء: 3), تح: عثمان يحيى, (د.ط), الهيئة العامة للكتاب – مصر, 1972م – 1985م.
- مُحَمَّد بن مُحَمَّد **حجة الإسلام** أبو حامد الغزالي , إحياء علوم الدين, (الجزء الثالث), تح: علي محمود مصطفى سعيد المحاسني , قدّم له: الشيخ أحمد الصاغرجي, الطبعة الأولى, دار الفيحاء – دار المنهل ناشرون – سوريا, 1431هـ = 2010م.
- مُحَمَّد بن مكرم جمال الدين ابن منظور, لسان العرب, (الأجزاء: 23,18,3), تح: عبد الله علي الكبير و مُحَمَّد أحمد حسب الله و هاشم مُحَمَّد الشاذلي, (د.ط), دار المعارف – مصر, (د.ت).
- د. ناصر عبد الرزاق الموافي, الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري, الطبعة الأولى, دار النشر للجامعات المصرية – مكتبة الوفاء – مصر, 1415هـ = 1995م.
- هنري كوربان, تاريخ الفلسفة الإسلامية, ترجمة: نصر مروة و حسن عبيس, (د.ط), منشورات عويدات – لبنان, 1996م.
- هيثم جمعة هلال, موسوعة حروب ومعارك العرب في الجاهلية, الطبعة الأولى, دار المعرفة – لبنان, 1425هـ = 2004م .
- ياقوت الحموي, معجم البلدان, (الجزء: 5), (د.ط), دار صادر – لبنان, 1986م.
- د. يوسف حسين بكّار, بناء القصيدة في النقد العربي القديم (في ضود النقد الحديث), الطبعة الثانية, دار الأندلس – لبنان, 1982م.

- **ثانياً : الأطاريح والرسائل الجامعية :**

- خالد السقاط , الرحلة العياشية (ماء الموائد) لأبي سالم عبد الله العياشي (تحقيق ودراسة), أطروحة دكتوراه, كلية الآداب – ظهر المهراز – جامعة فاس, المغرب, 1998م – 1999م.
- سعد الله عبد الرحمن شيخ علي البريفكاني, الرحلة في شعر أبي تمام, رسالة ماجستير, كلية التربية – جامعة الموصل, العراق, 1432هـ = 2011م.
- الطاهر الحسيني, الرحلة الجزائرية في العهد العثماني (بناؤها الفني, أنواعها, وخصائصها), أطروحة دكتوراه, كلية الآداب واللغات – جامعة قاصدي مرباح – ورقلة, الجزائر, 1434هـ – 1435هـ = 2013م – 2014م.
- لبنى لونانسة, النقد التطبيقي في الرحلات المغربية في القرنين السابع والثامن الهجريين,رسالة ماجستير, كلية الآداب واللغات, جامعة الحاج لخضر – باتنة, الجزائر, 1434هـ = 2013م.

- **ثالثاً : البحوث والدوريات :**

- عبد الرحيم علمي, (ذو الحجة 1420هـ – مارس 2000م), أدب الرحلة الصوفية في الغرب الإسلامي, مجلة دعوة الحق, وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب, العدد (350), الصفحات: (52-62).
- د. وفيق سليطين و علي ديوب, (خريف وشتاء 1396هـ – 2018م), الرحلة في الشعر الصوفي, مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها, مجلة نصف سنوية دولية محكّمة – إيران, السنة الثامنة, العدد (26), الصفحات: (64-65).

_

گەشتکرن - واتا ولایەنێن وێ د ئەزموونا سوفیگەریێدا-(دید- سومبول-سەرجاوە)

-خاندنەکا بنیات نان -

پوختە

گەشتکرنێ گرنگیا خو هەیە د خاندنێن رەخنەیی یێن نی، ژ بەر هەبوونا وێ یا بەرجاڤ د ناڤ دەقێن ئەدەبی دا ، هەر وەکی دیار دبیت د دەسپێکا هوزانێن عەرەبی یێن کلاسیك، وەکی ستونەکا سەرەکی ل ناڤ پەیکەرێ هوزانێ دا ، دیسان ژ بەر گرنگیا رویێ وێ یێ هونەری ل دەف رەخنەگرا ، هەروەها گەشتکرنێ هەبوونا خو هەیە د ناف پەخشانێ دا، وەکی نەژادەکێ ئەدەبی یێ تایبەت ل ژێر ناڤێ : (ئەدەبێ گەشتکرنێ.

سەبارەت گەشتکرنێ ل دەف سوفیا شێوەکێ سومبولی و عیرفانی وەرگرتیە، ژ بەر کو یا گرێدایە ب زانینا چێژی (عیرفانی)، و ب دیارکرنێ (تجلی)، و دیتنێ ، و دابرانا ئاستەنگێن ناخی و دەروونی، و بلند بوون د پلە و پایەیێن سوفیگەری، پێخەمەت گەهشتن بو راستیا زانین وناسینا خودێ تعالا ، و پەیوەندی ب رووناکیێ و نهێنیان، کە سوفی دەربرینێ لێ د کەن ب چەمکا (حزورا خودایی)، ئەو ژی مەرەما ریڤینگا نە ، و دیماهیا رێیا گەشتیارا نە بو خودێ تعالا، لێرە دیار دبیت کە گەشتکرن واتە سوفیگەری.

گەشتکرن ل دەف راستگویان دوو جورن ، یا ئێکێ گەشتەکا جەستەیی (راستی)، و رامانا وێ لایەنێن پاکیێ و پەروەردەکرنێ یە، ب رێکا کومەکا بهایێن رەوشتی و بیر وباوەرا د لایەکی، و حالێ سوفیێ رێ گرتی د دەروازا گەشتکرنێ د لایەکێ دی دا. و گەشتکرنا گیانی یە ئە وژی ئەف جورەنە : گەشتکرنا حیجازی، و گەشتکرنا سوفیگەری، و گەشتا داخازیا زانینێ، و گەشتا سەرەدانێ، و گەشتا لێ گەریان ل شیخێ تەریقێ. جورێ دویێ یێ گەشتکرنێ گەشتا گیانی ودلی یە (سومبولی)، ل ڤی جورەی سوفی خو تەرخان د کەت بو گەشتەکا عیرفانی ، وە د رێکا ڤێ گەشتێ بلند دبیت بو پایەیێن سوفیگەری یێن گرێدای ب زانینێن راستیێ یێن خودایی ، و زانینێن نهێنیان و روناکیین وان،وە ژ جورێن ڤێ گەشتێ : گەشتا دلی، وبلند بوونا سوفیگەری.

ئەگەر گەشتکرن د ئەدەبا عەرەبی دا - ب هوزان و پەخشان ڤە- جهێ گرنگیا نڤیسەر و رەخنەگرا بیت ، بەلێ گەشتکرنا سوفیگەری بابەتەکێ نی یە ، وە زور کێم خاندن ل سەر هەنە، لەوما پێویستی ب ڤەکولینێن زانستی هەنە ، ژ بوو دیار کرنا نخافتی و نهێنییێن ڤی بابەتەی، دا کو جەمك وتێگەهێن وێ بێنە دەست نیشان کرن، ل بەر ڤێ جەندێ ئەف ڤەکولینە هاتیە کرن وەك هەولەك ژ بوو تیشك ئێخستن ل سەر جەند لایەنێنن بابەتێ (گەشتکرن د ئەزموونا سوفیگەری دا)، د رێکا خاندنەکێ کە تێگەهێن ڤی بابەتەی بێنە بنیات نان، دگەل دیار کرنا واتا و جورێن وێ، و لایەنێن ڤێ گەشتێ یێن عیرفانی و سومبولی.

پەیڤێن سەرەکی: گەشتکرن/ واتە سازی/ لایەن/ دید/ سومبول/ سەرجاوە/ ئەزمونا سوڤیگەریێ.

THE JOURNEY, ITS IMPLICATIONS AND DIMENSIONS IN THE SUFI PRACTICE (VISION, SYMBOL, REFERENCE) - FOUNDATIONAL READING–

HISHYAR **Z**EKI **HA**SAN and **Y**OUNISS **I**BRAHEM **A**HMED
Dept. of Arabic, Faculty of Education, University of Koya, Kurdistan Region-Iraq
Dept. of Arabic, College of Education/Akre, University of Duhok, Kurdistan Region-Iraq

ABSTRACT

The Journey has a distinguished position in modern critical studies, due to its extensive presence in the literary text, poetry and prose, as its presence is evident in the forefront of classical Arabic poem, which is considered as an essential pillar in the structure of poem and its artistic construction among critics, and it is also present in prose and its arts, within a special literary genre known as (Journey Literature).

As for the journey in Sufism, it took a symbolic nature and a customary meaning related to the intuitive knowledge (gustatory) and unveiling and revelation, and breaking obstacles of the soul, and promotion in the conditions and Sufi positions, to reach the truth of knowledge in God (Almighty) and contact with spiritual luminosities and secrets, which is what Sufism expresses in (Devine Hadhra), which is the purpose of those who took the path of faith and those who took the path of God (glory be to Him), and thus the journey becomes synonymous with the concept of Sufism.

The journey for the people of the truth is of two types: the first, a physical sensual journey (real), and it means the educational purification dimension in establishing a set of moral and belief values in one hand, and placing the pure Sufi on the threshold of a journey from another level, a spiritual and passionate journey on the other, among the patterns of this trip: the Hijaz journey, Sufi tourism, the journey of seeking knowledge, the visit journey and the journey in search for the Sheikh of the method (pole). As for the second, it is a heartfelt spiritual journey (symbolic), and in this type the Sufis devotes himself to a mere confidential journey, during which he rises in places that are related only to the level of depth in knowing the divine truths, and the awareness of their secrets and lights, and the patterns of this journey: the travel of the heart, and the spiritual elevation.

If the journey in Arabic literature - poetry and prose - has received the attention of writers and critics, that many researches and studies have been conducted on, then the Sufism journey is still one of the topics that only a small amount of studies and researches have been conducted on it, and it needs more serious studies to explore its mysteries and reveal its secrets, and recognize its concepts and terminology, hence, this study came as an attempt to illuminate some aspects of the topic of the journey in the Sufi experience, through a reading based on the concepts of the journey, its implications, patterns, references, and symbolic and customary dimensions.

KEY WORDS: journey, implications, dimensions, vision, symbol, reference, Sufis experience .